مجلة علم النفس – فبراير ١٩٥٢

العدوان

بقلم

كمال الدين عبد الحميد نايل

يميل الإنسان من حيث لا يدرى إلى كبت كل نزعة من شأنها أن تحط من قيمته كعضو فى الجماعة ، وأهم هذه النزعات التى تتعرض للإخماد والكبت هما الجنس والعدوان . ومن الطريف أن نذكر أن الدافع العدوانى قد لاقى معارضة شديدة حتى بين علماء التحليل النفسى ، ولا زال البعض منهم كارنست جونز لا يعترف به كدافع أو حافز مستقل منفصل . وكان لظهور العدوان كحافز مستقل قصة طريفة فى دوائر التحليل النفسى بدأ بها ألفرد أدلر عام ١٩٠٨ ، ولاقى هذا الرأى فى أول الأمر معارضة شديدة حتى من رائد التحليل النفسى وواضع خطوطه الأولى الرئيسية سيجموند فرويد مما سنوضح فيه القول بعد ذلك بالتفصيل .

ولم نذهب بعيداً عن الواقع الحى الذى ينبض بأهمية العدوان كدافع من أهم دوافع النفس البشرية : ألا نصف كلمات شخص ما فنقول عنها إنها « جارحة » ونصف نظراته فنقول عنها إنها « نارية » . . . إلخ . بل إن الأمثلة العامية ، وهى كما نعلم مرآة الشعب ومستودع خبراته وحكمته ، تفيض بالأمثلة التى تكشف عن العدوان ممتزجاً بشتى الاتجاهات النفسية الدقيقة كقولنا « حبيبك يمضغلك الزلط ، وعدوك يتمنالك الغلط » . ولا يخفى على القارىء الطابع المازوكى الذى يتجلى فى الفقرة الأولى من هذا المثل . وعند ما نقول « من حبنا حبناه وصار متاعنا متاعه ؛ ومن كرهنا كرهناه وحرم علينا اجتماعه » نجد أن العدوان يتفصح عن طريق النبذ والترك . وفوق هذا كله ، يتفصح المثل العامى القائل « أطعم الفم تستحى العين » عن حقيقة أكثر دقة ولطفاً وخفاء ألا وهى أن فى بعض أشكال البذل عدواناً إذا ما فهمنا العدوان بمعنى السيطرة .

المعانى المختلفة للعدوان : يفيد العدوان أربعة معان . فيفيد أولا تأكيد الذات self-assertiveness ، أى النشاط القوى . وعيب هذا التعريف أنه عام ولا يتضمن أية دلالة ديناميكية . ويفيد العدوان ، ثانياً معنى الاستحواذ والتملك سواء أكان هذا الاستحواذ على شخص أم على شىء . وإذا ما استخدم العدوان بهذا المعنى ، فإنه يشير بوجه خاص إلى المعارضة والمقاومة التى تصادف فعل الامتلاك كما هى الحال عند ما يستحوذ شخص على آخر بالقوة أو يأخذ منه شيئاً بالقوة . وبوجه عام ، عند ما يبذل الإنسان قدراً ملحوظاً من النشاط فى فعل الامتلاك أو الاستحواذ . ويدل العدوان ، ثالثاً على عمل يتسم بالعداء أو الهجوم أو التدمير . ويشير هذا التعريف إلى السلوك الذى يتضمن فى جوهره إيذاء الغير سواء بطريق مباشر أم غير مباشر ، فى شخصه أم فى ممتلكاته . ويتخذ العدوان صورة المقاومة لمحاولات الضبط والتوجيه التى يقوم بها الغير ، ويمثل كل ما هو عنيف وهدام . ويشير المعنى الرابع للعدوان إلى الفعل الذى يرمى إلى ضبط وتوجيه وسيطرة شخص أو مجموعة من الأشخاص على الغير . . . إلخ . فإننا نقول عن شخص إنه عدوانى ، سواء أكان هذا القول صريحاً أم ضمنياً ، عند ما يظهر استعداداً للزعامة ، ويكشف سلوكه عن ميول واتجاهات تهدف إلى تنظيم وإدارة الأمور أو يحاول أن يرغم الغير على الإذعان لرغباته والتسليم بها وتنفيذ ما يوحى به .

وإن نزعة تأكيد الذات خاصة إذا ما تفصحت بطريقة شديدة نشطة لتخترق وتنفذ وتشيع فى المعانى الثلاث الأخيرة وإن كان كل من الفعل الذى يرمى إلى الامتلاك والاستحواذ والفعل الذى يرمى إلى ضبط وتوجيه سلوك الغير لا يتضمن ضرورة الإيذاء أو الهدم وقد يترتب عليهما نتائج بنائية مفيدة . ويميل بعض الكتاب إلى استعمال العدوان بمعنى الفعل العدائى الذى يهدف إلى إيذاء الغير وإن كان هذا لا يمنع استخدامه بالمعانى الثلاث الأخرى . ومهما يكن من أمر ، فينبغى ألا نغفل عن أن العدوان بمعنى الفعل الذى يهدف إلى الاستحواذ والتملك أو بمعنى الفعل الذى يرمى إلى السيادة ، أمر له وزنه وخطره .

لقد كان العدوان بل وما زال موضوعاً للدراسة التى تقوم على مناهج الملاحظة فى علم النفس الذى يعنى بالطفولة . ولقد كشفت هذه الدراسات عن عدد كبير من العلاقات المهمة . فلقد وجد ، مثلا ، أن أكثر الأطفال عدواناً

أكثرهم قبولا كذلك لتقبل عدوان الآخرين[١]. ولقد لوحظ أيضاً أن أكثر الأطفال عدواناً فى لعبهم مع غيرهم من الأطفال أكثرهم عدواناً أيضاً نحو الراشدين. وقد يبدو من هذه الدراسات أن العدوان وظيفة من وظائف النشاط العام عند الطفل. وعلى أية حال، فهذا هو النحو الذى قد فسرت به هذه النتائج. وتزيد الملاحظة الإضافية التى تفيد أن أكثر الأطفال عدواناً أكثرهم تعاطفاً[٢] مع الغير Sympathetic من احتمال صحة هـذا التفسير. ومهما يكن الأمر، فإن تفسيراً، ذلك شأنه من البساطة، لا يستوعب كل ما تحتويه هذه الظواهر من دلالة ومعنى. فمن المحتمل أن الأطفال الذين يظهرون العدوان فى معاملتهم لرفقاء اللعب، إنما ينقلون عداءهم الذى كان موجها فى الأصل إلى الوالدين، أحدهما أو كليهما، وحالت الظروف دون الإفصاح عنه لسبب ما وليكن الخوف من الانتقام مثلا، إلى رفقاء اللعب حيث يكون احتمال العقاب أو الانتقام قليلا ومقبولا من الوجهة الاجتماعية. وقد يستثير أكثر الأطفال عدواناً عدوان الآخرين رغبة فى إنزال العقاب بأنفسهم تكفيراً عما جنت أياديهم، يدفعهم إلى تلك الاستثارة الحاجة إلى العقاب التى تعمل بطريقة لا شعورية؛ بل قد يعمدون إلى المشاركة الوجدانية والتعاطف مع الغير كوسيلة يصلحون بها ما جنت أياديهم من ضروب الأذى التى ألحقوها بالغير. ومهما يكن من أمر، فإننا سنكتفى بالقول بأنه لا يجب النظر إلى العدوان على أنه مجرد نشاط مفيد لحياة الطفل النفسية بل يجب أن نقر ونعترف بدلالته الديناميكية من حيث توافق الشخصية وتكاملها.

وللعدوان وظيفتان رئيسيتان: الأولى هى اغتصاب الأشياع من العالم الخارجى والثانية هى تحطيم مصدر الألم. وترتبط هاتان الوظيفتان بحاجة الكائن الحى إلى حفظ كيانه فى البيئة حيث يتطلب الحصول على الطعام مجهوداً كما تتطلب حاجته إلى حماية نفسه إزاء الأذى أو الفناء فى بيئة مليئة بأخطار كامنة بذل الجهد وقد يستخدم العدوان كوسيلة دفاعية ضد اللذة الخطرة. فعند ما يحصل الصبى على قدر من المحبة والعطف دون ما يبتغيه ويتلهف عليه، قد يعمد إلى حجب هذه الرغبة باتخاذه مظهراً عدوانياً. فهو ذلك الطفل الذى يؤذى من

(١) Isaacs, Susan, "Privation & Guilt," International Journal of Psychoanalysis, 10 (1929), 335 - 347.

(٢) Murphy, L.B. "Social Behavior & Child Personality."

هم دونه فى القوة . وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على الإعتراف والتسليم بضعفه وعلى ضرورة حجب وإخفاء رغباته السلبية . وقد يحس المرء رغبة جنسية تجاه شخص آخر ويود لو اشتق منها لذة ولكنه يجد مثل هذه اللذة خطرة وشريرة فيعمد إلى العدوان كوسيلة تمنعه من الرضوخ لهذا الإغراء الذى يتملكه . وإذا ما شعر المرء بخطر الميل الجنسى ، فقد يتقنع هذا الميل الجنسى متخذاً صورة الاهانة أو الاحتقار ؛ وهذه الوسائل المقنعة غالباً ما تكون بمثابة الدعوة إلى التقرب الجنسى . وهذا ما يعبر عنه العامة « بجر الشكل » فى قولهم « فلانه بتجر شكل فلان » . واستخدام العدوان كدفاع ضد اللذة الخطرة وظيفة ثانوية من وظائف العدوان .

وقبل أن نعرض للدور الذى تقوم به الحوافز العدوانية فى السلوك ، ينبغى علينا أن نشير إلى تاريخ الغريزة العدوانية فى ميدان التحليل النفسى حتى تكون الصورة التى نقدمها عن السلوك أكثر وضوحاً وتفصيلا . والغريزة العدوانية ذات تاريخ طريف فى ميدان التحليل النفسى فلقد نشر ألفرد أدلر بحثاً فى عام (١٩٠٨) بعنوان « الحافز العدوانى فى الحياة والعصاب » بين فيه أن الصادية والمازوكية تتكون من اتحاد وامتزاج حافزين منفصلين ومختلفين ألا وهما : الحافز الجنسى والعدوانى . وكان هذا بالطبع أيام كان أدلر من أتباع فرويد . ولقد بين فى بحثه هذا كيف أن لغريزة العدوان أثرها فى اختيار المهنة التى يختارها الفرد فى حياته كالقاضى والمدرس والطبيب والسياسى . ولقد تأثر فرويد تأثراً كبيراً بنظرية أدلر التى تذهب إلى أن القلق النفسى الشديد إنما ينشأ عن كبت الدوافع العدوانية ، ولكنه أنكر مع ذلك الدافع العدوانى من حيث هو كذلك إنكاراً مطلقاً . ولقد كتب فرويد فى تحليله « حالة فوبيا عند صبى فى الخامسة من عمره » (١٩٠٩) : « لقد كوّن حديثاً الفرد أدلر ، فى بحث موح ، الرأى القائل بأن الحصر النفسى ينجم عن إخماد ما سماه بغريزة العدوان ، ولقد عزى إلى هذه الغريزة ، عن طريقة عملية تركيبية شاملة جداً ، الدور الرئيسى فى الأحداث الإنسانية أى « فى الحياة الواقعية والعصاب » . وما دمنا قد انتهينا إلى الرأى القائل بوجوب تفسير الحصر النفسى ، فى حالة الفوبيا التى نحن بصددها ، عن طريق إرجاعه إلى كبت هانز لحوافز العدوان (الحوافز العدائية الموجّهة إلى أبيه ؛ والحوافز الصادية الموجّهة إلى أمه) ، فيبدو أننا قد زودنا رأى أدلر

بمثال قد بلغ حد الروعة فى التأييد والإثبات . ومع ذلك ، فإننى لا أستطيع الموافقة على هذا الرأى ، وإنى لأعتبره بالفعل تعميما مضللا ؛ ولا أستطيع أن أحمل نفسى على التسليم بوجود غريزة عدوانية خاصة (مستقلة) بجانب غرائز المحافظة على الذات والجنس المألوف وأن تكون معها على قدم المساواة ويلوح لى أن أدلر قد قوم خطأ فى غريزة خاصة ما هو فى حقيقته صفة عامة ضرورية لكل الغرائز والحوافز — أى طابعها الديناميكى الاندفاعى Impulsive . أو ما يمكن وصفه بقدرتها على بعث الحركة . ولن يتبقى شىء للغرائز الأخرى اللهم إلا علاقتها بالهدف ذلك لأن علاقتها بالوسائل التى توصل إلى الهدف تكون قد سلبت منها بفضل « غريزة العدوان » . وعلى الرغم من غموض وعدم يقين نظريتنا فى الغريزة إلا أنه ينبغى على أن أفضل التمسك بالرأى المألوف حتى الآن ، ذلك الرأى الذى يدع لكل غريزة قوتها الخاصة بها فى أن تصبح عدوانية . كما ينبغى علىّ أيضاً أن أنزع إلى تقدير هاتين الغريزتين المكبوتتين على أنهما مكوّنان من مكوّنات الليبيدو الجنسى » . وبعد ذلك بعشر سنوات نشر فرويد فرضه القائل بغريزة الموت فى كتابيه « ما فوق مبدأ اللذة » (١٩٢٠) و « الذات والهى » ١٩٢٣ حيث نجده يقول « إن الفكرة القائلة بأن جزءا من غريزة الموت أصبح موّجهاً نحو العالم الخارجى وكشف عن نفسه فى صورة غريزة العدوان والهدم لتتقدم بنا خطوة أبعد » . ولكننا لا نجد التقدير والوصف الشامل للحافز العدوانى قبل عام ١٩٣٠ فى كتابه الموسوم بعنوان « الحضارة ومتاعبها » حيث يقول « علينا أن نعتبر جزءاً كبيراً من الرغبة فى العدوان كجزء من الاستعداد الغريزى لبنى الإنسان . والإنسان فى معاملته لأخيه الإنسان كالذئب Homo Homini Lupus وإن وجود هذا الميل إلى العدوان الذى نكتشفه فى أنفسنا ونفترض بحق وجوده لدى الآخرين لهو العامل الذى يكدر علاقتنا بجيراننا ويجعل من الضرورى للحضارة أن تقوم بتحقيق مطالبها الراقية . . . وإذا كان ينبغى أن يبدو ضرورياً أن الاعتراف بالعدوان كغريزة خاصة مستقلة قد يفيد تعديل نظرية التحليل النفسى فى الغريزة ، فإننى سأكون فى غاية السرور لأن أحتضن هذه الفكرة . ولكن الأمر ، كما سنرى ، لن يكون كذلك » . . . « أنا أعلم أن المظاهر التى تتفصح بها غريزة الهدم مختلطة بالشبقية تقع دواماً أمام ناظرينا متجهة إلى الخارج أو الداخل فى الصادية والمازوكية . ولكن لم

أعد أفهم كيف أننا قد غفلنا عن شمول العدوان والهدم اللاشبق ، وكيف قد نسينا بالمرة أن نعطيه الأهمية الجديرة به فى تفسيرنا للحياة . وأستطيع أن أتذكر اتجاهى الدفاعى المعارض عند ما أعلنت غريزة الهدم عن ظهورها أول مرة فى مؤلفات التحليل النفسى ، وكم أخذت من الوقت حتى أصبحت مدركاً لها . ويدهشنى أقل من ذلك أن الآخرين كانت وما تزال تبدو منهم نفس المقاومة » . وفيما يلى يتخذ فرويد اتجاهاً يفيد أن النزعة إلى العدوان هى استعداد فطرى غرزى فى الإنسان ذو شدة متفاوتة . « إن أعراض العصاب ، كما قد تعلمنا من قبل ، هى فى جوهرها ألوان من الإرضاء البديل للرغبات الجنسية التى لم تتحقق . ولقد وجدنا أثناء عملنا التحليلى — مما كان مثاراً لدهشتنا — أن كل عصاب غالباً ما يحجب أو يقنع قدراً معيناً من الإحساس اللاشعورى بالذنب الذى يعمل بدوره على تقوية الأعراض باستخدامها كوسيلة من وسائل العقاب . ويجد المرء نفسه ميالا إلى اقتراح القول الآتى كصيغة محتملة : إذا ما اعترى النزعة الغريزية الكبت ، تتحول عناصرها اللبيدية إلى أعراض كما تتحول مكوّناتها العدوانية إلى إحساس بالذنب . وهذا القول جدير باهتمامنا حتى إذا ما كان واضحاً فقط كحالة تقريبية » .

وإنه لحادث مهم جداً فى تاريخ العلم أن يجد رجل ما حافزاً هو بحق مطلق الأهمية فى العقل البشرى ثم يتدبر ملياً مصير هذا الدافع فى تطور ورقى الناس من ذوى الذكاء المرتفع ، ولكنه يترك المسألة بعد ذلك تركاً مطلقاً ؛ وأن رجلا عبقرياً كفرويد قد تردد ، فى بادئ الأمر ، فى التسليم بالحافز العدوانى اثنتين وعشرين عاماً ، ولكنه يسلم به بعد ذلك تسليما مطلقاً مقراً فى النهاية بفشله وهو يبلغ الرابعة والسبعين من عمره .

وعن طريق معرفتنا للحافز العدوانى مع ما يصاحبه من النزعات اللبيدية فى مركب أوديب ، وباستبصارنا فى وجدانات الذنب اللاشعورية خاصة الخوف الوهمى من الموت ؛ أمكننا فى الوقت الحاضر تفسير الخوف من المرض والانهيار والإغماء فى الطريق إلخ . تفسيراً كاملا . فالشخص الذى يبغى موت الشخص المكروه إنما يخاف أن تقتله بالفعل « القدرة المطلقة للنيات » Omnipotence of thoughts ؛ فيعمل ميكانيزم التقمص فى هذه الحالة على جعل الشخص الذى ينشد موت الغير المكروه واقعاً فى توهم الخطر على حياته هو نفسه . وتمتد

الرغبة فى موت الوالد الذى من نفس الجنس (مركب أوديب) ، فى عصاب الالزام ، إلى الآخرين ، وتدع المريض عن طريق ميكانيزم رد الفعل يعاقب نفسه كمازوكى بأن يعمل جميع الحركات المتكررة التى لا يستطيع منها فكاكاً .

ونجد الحافز العدوانى متنكراً فى أشكال وصور جديدة . فقد يفيد القىء الزائد عن الحد ، عند الحامل ، كراهية المولود الجديد . وتبرهن الحوافز الحصارية ، كالرغبة فى إلقاء الوليد من الشرفة ، على وجود ثنائية الوجدان ambivalenee لدى الأم الشابة التى تعانى من العناية بالرضيع .

ولقد كشفت أنا فرويد عن شكل من أشكال التقمص الدفاعى ألا وهو تقمص الخصم المهدّد كوسيلة للتخفيف من حدة الحصر النفسى . فمن الممكن السيطرة على الحصر النفسى باتخاذ صفات الخصم عن طريق الامتصاص . ويتجلى ذلك واضحاً فى الحالة التى شاهدها الكاتب . وتتلخص فى أن أخاه الصغير كان يذهب إلى طبيب العيون لإجراء جراحة فى عينيه ، وكان هذا الأمر مصدر قلق له . فكان يعمد عند وصوله إلى المنزل إلى تمثيل دور الطبيب إذ يتخذ مريضه من ذوى قرباه ويأخذ فى تقليد حركات الطبيب . وكان هذا الأمر يشعره بالراحة . وكان يكرر هذه العملية مرات عديدة حتى بعد الانتهاء من علاجه . وأصبحت حادثة مألوفة فى لعبه . وليست هذه الظاهرة قاصرة على الأطفال بل إننا لنجدها أيضاً عند البالغين ، إذ كان بعض المعتقلين فى المعسكرات النازية يعمدون فى معاملتهم لزملائهم إلى نفس المعاملة التى كان يعاملهم بها رجال النازى . وقد لاحظ الكاتب أن هناك عائلة معينة يخضع صغارها لكبارها خضوعاً ذليلا . وكان مرد ذلك إلى أن الأب كان عنيفاً وصارماً الأمر الذى ترتب عليه أن تقمص الابن الأكبر شخصية الأب وانعكست فى معاملته لشقيقه الأصغر وهكذا دواليك .

وليس العدوان دائماً مسيئاً ومضراً بل هو يمثل قيمة عالية إذا ما تسامى به المرء كالتهيؤ والاستعداد للنشاط ، والطاقة الفعالة النشطة ، والقدرة على الغلبة والسيطرة . وإن طراز الخلق النرجسى الحصارى Narcisistic obsessional character type هو أكثر الطرز فعالية وتأثيراً فى الحضارة ، فيما يرى فرويد ، هذا إذا ما أدخلنا فى حسابنا الطاقة النشطة للعدوان .

الظروف المولّدة للعدوان :

ا — الحرمان : من الممكن ، إلى حد كبير ، أن يكون العدوان استجابة للحرمان . ويمكن تقسيم الحرمان الذى يفضى إلى العدوان إلى ثلاثة أنماط رئيسية : فنلاحظ أولا الحرمان بمعنى الرغبة التى لم تتحقق . فيكون العدوان فى هذه الحالة استجابة للتوتر العضوى الذى يحدث عند ما تظل حاجة عضوية غير مشبعة . ونلاحظ ثانياً العدوان الذى يعقب الحيلولة بين الشخص وما يريد أو التضييق عليه . ويعتقد دنيس Dennis أن الأطفال الصغار لا يستجيبون عدوانياً لمجرد التضييق أو منعهم من الحركة إلا (١) عند ما يكون التنبيه شديداً ومستمراً (٢) عند ما يحال بين التسلسل المألوف للحوادث أن يقع . ولقد انتهى إلى آرائه نتيجة للملاحظات التجريبية التى أجراها على أطفاله والأطفال الهنود . أما النمط الثالث للحرمان المفضى إلى العدوان فيتمثل فى الهجوم من مصدر خارجى يترتب عليه الشعور بالألم أو عدم الراحة . فإن الطفل يستجيب بالعدوان ليس فقط عند ما يركله أو يقرصه طفل آخر بل إنه يستجيب بنفس الأسلوب لأية محاولة لأخذ لعبه منه أو حرمانه من اللذة أو خدش سمعته .

ضروب الحرمان المبكرة المهمة المفضية إلى العدوان : يتمثل العدوان بصورة أخاذة فى المرحلة الفمية الصادية . وتتميز بخاصيتين : طلب الاشباع والتخلص من آلام الجوع ؛ والرغبة العاجلة فى اشتقاق اللذة من مص الثدى . وهذه اللذة التى يشتقها الطفل من مص الثدى وتناول الأشياء فى فمه تبلغ أقصى شدتها فى النصف الثانى من العام الأول . فيمص الطفل أى شىء يمكن أن تصل إليه يداه . ولا يتخلى الشخص السوى اطلاقاً عن اللذة الفمية كما يتجلى ذلك بوضوح فى مضغ اللبان وتدخين اللفائف . وعلينا أن نوّضح أن عملية العض هى فى نفس الوقت لذيذة وهدامة . والمرحلة الفمية الصادية هى نتاج رغبة سلبية تتمثل بوجه خاص فى أن يعطى الطفل وأن يعامل بلطف وأن يدلل . وتنمو من هذه الرغبة السلبية فى تناول الأشياء رغبات أكثر نشاطاً ترمى إلى الامتلاك والاستحواذ على كل ما نوده ونشتهيه . ويجب أن نلاحظ أن اللذة هى فى الأخذ أكثر مما هى فى الامتلاك . ولا يقتصر صدق هذه الملاحظة على الرضيع بل إنها لتمتد إلى جميع مراحل العمر .

ويكون العدوان فى مطلع الحياة لذيذاً ، وكان من الممكن أن يحتفظ بطابعه اللذيذ طوال الحياة لولا أننا تعلمنا عكس ذلك . ويظل العدوان عند بعض الناس ، وهذه حقيقة لا تحتاج إلى جدال ، أمراً لذيذاً . ولعل هذا ما يجعل من مشكلة الحرب أمراً يستعصى على الحل . ففى الحل الأول ، نجد الرغبة فى أن نكون فى خير حال هى الدافع إلى استثارة الشره والعدوان الهدام أعنى الرغبة فى الغذاء واللبن . وأصلاً ، تنمو النزعات العدوانية عند الرجل من ضرورة المحافظة على البقاء وضمان تحقيق الأشياء الطيبة فى الحياة ، ولا تصبح مثل هذه الأشياء مصدراً للشقاء والهدم إلا فى مرحلة متأخرة عند ما يصيبها الانتكاس . ولعل فى ملاحظة الحيوانات آكلة اللحم البشرى ما يوضح لنا هذا الأصل الأولى للميول العدوانية . فإذا ما لاحظنا الأسد ، أثناء تناوله الطعام ، لوجدنا الشوق والوله — إن جاز لنا أن نستعمل هذه الألفاظ — إلى جانب الوحشية التى تبدو عليه فى التهامه للطعام مما يؤدى إلى ارتباط واجتماع كل من الامتلاك والالتهام والتحطيم فى فعل واحد . وليس الأمر قاصراً على الحيوانات آكلة اللحوم البشرية بل إننا لنجد حتى الكلب الأليف يعوى إذا ما حاول شخص ما أن يعوقه أثناء تناول الطعام أو قضمه للعظام . وقد يصبح العض عادة محبوبة . ومن الممكن عدُّ التقبيل لوناً ضعيفاً من ألوان العض بل من الممكن أيضاً أن يكشف عن الكراهية فى نفس الوقت الذى يكشف فيه عن الوله . فكثيراً ما يسمع المرء العبارة الآتية « أحبك كثيراً إلى حد أنى أود التهامك » التى إن دلت على شىء فإنما تدل على مدى القرابة بين الحب والكراهية . وقد يعبر صغار الصبية عن حبهم لبعض عن طريق اللكمات التى يتبادلونها فيما بينهم بل اننا نلاحظ أن الطفل الصغير قد ينهض ويضربك ويتخذ من سلوكه هذا وسيلة يعلن بها عن رغبته فى أن يكون صديقاً لك !

ولكن علينا أن نراعى أن نسبة عدوان المرحلة الفمية إنما تتوقف على معاملة الأم للرضيع . فإذا كان سلوكها يتسم بطابع الالتفات لحاجات الطفل ، كانت الصادية الفمية ذات طابع معتدل نسبياً ؛ والعكس صحيح خاصة إذا ما كان الفطام مصحوباً بصعوبات . وتصل الصادية الفمية أقصى شدتها ابتداء من الشهر التاسع إلى السنة الثانية . ففى بدء هذه المرحلة يبدأ عادة التسنين والفطام . وهى المرحلة التى يبدأ فيها التحكم العضلى حتى أن الطفل الرضيع يصبح قادراً على

الامساك بالأشياء وإيصالها إلى نفسه . ويبدأ أيضاً التحكم فى عضلات المصرة . وتترك هذه المرحلة آثاراً فى شخصية الطفل إذا ما كبر ونما . فيميل الطفل الذى عانى كثيراً من الحرمان فى هذه المرحلة إلى اتخاذ سلوك آمر مسيطر فى شبابه : فهو ذلك الشخص الذى يطالب بالامتيازات والمحاباة والذى لا يتردد فى أن يطالب بالتعويض إذا ما مسه أى سوء مهما كان طفيفاً .

الصادية الإستية والبولية : وتنشب الصادية أثناء عملية التدريب على التبول والتبرز . وللعمليات الاخراجية نفس الدلالة الصادية التى للمرحلة السابقة . وتتخذ هذه العمليات الإستية دلالة صادية ومرجع ذلك إلى أن تدريب الطفل على عمليتى التبول والتبرز يتعارض مع عمليات الاخراج غير المقيدة . وتتضمن عمليات التبرز والتبول عمليتين متعارضتين : تتضمن الأولى التخلص من النفاية عن طريق طردها من الجسم أى طرد البراز ومرور البول ؛ ومن ناحية أخرى كلما ازداد التحكم فى عضلات المصرة ، كان من الممكن كف العمليتين (التبرز والتبول) . وكلما كان التدريب على تنظيم الوظائف الإخراجية مصحوباً بالعقاب والتهديد ، كان ذلك مدعاة إلى استثارة مشاعر الكراهية والغضب .

وقد يلجأ الطفل إلى استخدام عمليتى التبول والتبرز كوسائل يفصح بها عن العدوان الذى يعتلج فى أعماقه . وتكشف دراسة الأطفال عن أنهم يتخذون من البوال الذى يحدث أثناء النوم وسيلة عدوانية ، وغالباً ما يبلل الأطفال الفراش إذا لم تتحقق رغبة من رغباتهم . وإذا كانت عملية التفريغ والطرد ذات دلالة عدوانية ، فإن عملية الاحتفاظ والامساك لها دلالة صادية أيضاً . فتبدو أولاً فى التحكم فى الموضوع (البراز) . وتبدو ثانية فى صورة التحكم فى الأب الذى يود أن يقوم الطفل بعملية التبرز فى وقتها المعلوم . فيبدو الامساك سلاحاً فى يد الطفل يعاقب به الطفل أباه ، ذلك الأب الذى قاسى منه الأمرين أثناء فترة التدريب على عمليتى التبرز والتبول وحرمه من شىء كان يجد لذة كبرى فى العبث به ألا وهو البراز . وتترك هذه المرحلة أثرها فى شخصية الراشد . فنجد الطفل الذى استخدمت معه القسوة فى التدريب على القيام بعمليتى التبرز والتبول مما أدى إلى أن يستخدمهما كوسيلة عدوانية عدوانياً هداماً فى شبابه سواء فى واقعه أم فى خياله . ويجد الباحث تلك الصفات واضحة فى أول العهد بالمراهقة : فنجد المراهق يرتد وينكص على عقبيه إلى مرحلة طفلية فيبدو عليه عدم الاكتراث

بهندامه كما يتفصح سلوكه عن نزعات عدوانية إلا أنه سرعان ما تبدو هذه المظاهر التى تتسم بطابع عدم الاكتراث خطيرة خاصة بالنسبة للطفل الذى امتص التعاليم المبكرة المتعلقة بنبذ وترك القذارة والإقلاع عن الفوضى وعدم النظام فنجده يتحول بعد مضى بضعة أشهر إلى العناية المفرطة بملبسه ونظافته وتعلقه بالنظام . ومن ناحية أخرى ، نجد الشخص الذى يستخدم ميوله الصادية التى تهدف إلى الحفظ والامساك ، فى التحكم والضبط ومعالجة الأمور ، نجد مثل هذا الشخص عرضة للحصار والأفكار المتسلطة . فهو ذلك الشخص الذى يبالغ بطريقة شاذة تستوقف النظر فى نظافته والعناية بأدق تفاصيل عمله إلى حد يكاد يخرجه عن الصواب ويضمه إلى زمرة العصابيين . ونجد مثل هذه الحالة واضحة كل الوضوح فى سلوك الزوجة التى تسبب شقاء كل من يظلهم سقف منزلها باصرارها المبالغ فيه على النظافة ووضع كل شىء فى موضعه وتندفع فى ثورة عجيبة إذا ما تغير شىء عن النظام المرسوم .

ب — الشبقية الذاتية Autoerotism : يحول الآباء ، رغبة فى تعويد أطفالهم على آداب السلوك ، دون الميول الشبقية الذاتية . فيظهر الآباء اشمئزازهم لكل محاولة من جانب الطفل إلى أن يستمد لذة من جسمه . فكل نشاط جنسى مقضى عليه منذ البدء بالاعاقة والحرمان من الاشباع . فيحرمون على الطفل مص أصابعه بل يصل التحريم إلى أقصى درجة إذا ما حاول الطفل أن يمارس عملية جلد عميرة وأن يستمد لذة من المناطق التناسلية . وهذه الإعاقة للميول الشبقية الذاتية لا تؤدى إلى العدوان بنفس الطريقة التى تؤدى بها اعاقة كل من النشاط الفمى والاستى ؛ ولعل ذلك يرجع إلى أنها تصادف عقوبة أشد قسوة وعنفاً ولكنها غالباً ما تولد أفكاراً خيالية ذات طابع صادى عنيف .

جـ — عدم الطمأنينة : وقد ينجم العدوان عن فقد الطمأنينة الانفعالية ، ومن نبذ الوالدين للطفل ، وفقدان الحب . والعدوان ، الناجم عن فقدان الطمأنينة ، ذو طابع عام بخلاف ضروب الصادية المعينة الناجمة عن ضروب الحرمان المعينة . فإذا ما شعر الطفل بانصراف أمه عنه ، وخالجه الشك فى حبها ، فإنه يعمد إلى العدوان ، لأن فى العدوان جذباً للانتباه . وجذب الانتباه إن لم يكن مدعاة لاستدرار حب الأم وتحقيقه فهو خير بديل عنه لأن العدوان فى مثل هذه الحال اعلان عن الوجود . ومع أنه اعلان شاذ إلا أن فيه بعض الاشباع .

ولقد بينت دويتش أن العدوان والعداء (الخصومة) أمران متساوقان ، لامحيص عنهما، لعملية النمو . وهى تعبر عن ذلك بقولها إنه ما من رابطة انفعالية تزول إلا وولدت عداء وخصومة ، وأن الصراع فى سبيل الاستقلال ، سواء فى الطفولة أم فى البلوغ ، لا بد له من استثارة العداء كوسيلة لتحقيق هذا التحرر . ويتجه هذا الصراع من أجل الاستقلال عند كل من الصبى والبنت أول ما يتجه إلى الأم حتى يوجد الميل الطبيعى إلى الاتجاه نحو الأب من أجل العون والسند والحماية . وتوجد علاقة مهمة بين ضروب الحرمان الأكثر مباشرة والشعور الأكثر عمقاً بفقدان الطمأنينة الكامن وراءها الذى يشعر به الأطفال الذين يعيشون فى جو يسود فيه العداء بينهم وبين والديهم أو ينغمس كل من الوالدين فى عمله انغماساً تاماً لا يسمح بالالتفات الكافى إلى الأطفال . ففى استطاعة الطفل الذى يشعر بالاطمئنان والقبول من بين ذويه أن يتحمل الحرمان دون أن تبدو منه ميول عدوانية مفرطة . ومن ثم لا يصدر العدوان ضرورة عن هؤلاء الذين عانوا من العقاب الجسدى وإنما يصدر ، أساساً ، عن هؤلاء الأطفال الذين لم يحبوا وشعروا بتفضيل أخوتهم عليهم والذين لم يشعروا بالطمأنينة فى علاقاتهم الوجدانية بمن يحيطون بهم . ومهما يكن الأمر ، فإن الطفل المقبول يكون فى استجابته للعدوان أقل عنفاً .

ويتفصح العدوان والكراهية فى مركب أوديب . فيميل الصبى إلى أمه ، والبنت إلى أبيها . ويصاحب هذا التعلق الوجدانى غيره من الوالد الذى من نفس جنس الطفل بل قد تشتد هذه الغيرة حتى تصل إلى الرغبة فى موت الوالد الذى من نفس الجنس . ولكن نظراً لقوة الأب وضعف الطفل وخوفه من الاخصاء يتنازل الصبى عن رغبته فى الأم وينتهى الأمر بتقمصه لشخصية أبيه حتى يجد فى مستقبل حياته امرأة شبيهة بأمه .

وقد ينشأ الشعور بعدم الاطمئنان من الشعور بالغرابة سواء أكانت هذه الغرابة فى اللغة أم فى الشكل . فينزعج الطفل من رؤية شخص يلبس ملابس غريبة أو يتكلم لغة غريبة عن لغته . . . بل إننا لنجد أن طائفة ما قد تنفر من طائفة أخرى ، على الرغم من أن الطائفتين ينتميان إلى مجتمع واحد ، بسبب الاختلاف فى أسلوب التفكير أو طرق المعيشة . وليس هناك من شك فى أن أحد الأسباب المولّدة للحروب هو الشعور بعدم الاطمئنان الذى نشعر به نحو

من يخالفوننا فى المميزات الباطنية والخارجية .

د — مشاعر القصور : ومشاعر القصور هى الحالة الرابعة التى تفضى بنا إلى العدوان . ويجب أن نذكر إن هذه الحالة حالة ثانوية أو مشتقة . فعلينا أن نبين أولا كيف تكونت مشاعر القصور ! وإذا ما تمكننا من تتبع نشأتها لوجدنا أنها تنشأ من الحرمان المبكر وفقدان الطمأنينة . ومع ذلك ، فسرعان ما يكون لها وجود مستقل عن هذه الخبرات المبكرة ويحاول الشخص معالجتها عن طريق العدوان . فنجد الصبية الذين يخشون النمو واتخاذ سلوك الراشدين ، يعوضون عن هذه المخاوف باتخاذ مجاهدات تتسم بطابع المبالغة حتى يبدون فى صورة الأشخاص الراشدين باتخاذ ملابس البالغين وتصنع الجد والاعلان الكاذب عن الرجولة .

وعلينا أن نفرق بين مشاعر القصور ومشاعر الذنب إذ كان المألوف، على حد تعبير فرانز الكسندر ، فى مؤلفات التحليل النفسى القديمة معالجة مشاعر القصور ومشاعر الذنب على أنهما مظهران يتفاوت حظهما من التشابه للتعبير عن التوتر الحادث بين الذات كما هى بالفعل والمثل الأعلى للذات ! بين الشخص كما هو وما ينبغى أن يكونه . ومع ذلك ، فلقد ظهر بالامتحان الدقيق وجود فارق رئيسى بين مشاعر الذنب ومشاعر القصور . وواقع الأمر ، أن هذين النمطين من الاستجابة — فيما يرى فرانز الكسندر — متعارضان من الوجهة الديناميكية ويمكن مقارنتهما بالتعصيب السمبتاوى والتعصيب الباراسمبتاوى ، والعضلات الباسطة والقابضة فى الفسيولوجيا . ويمكن التعبير عن المضمون النفسى لمشاعر الذنب فى صيغة لفظية تجرى كالآتى : « أنا لست خيِّراً ، فما أود فعله أو ما قد فعلته إنما هى أمور وضيعة غير مقبولة ومن ثم فاستحق الازدراء والعقاب » . وعلى العكس من ذلك ، نجد المضمون الانفعالى لمشاعر القصور يجرى كالآتى : « أنا ضعيف ، فلست قوياً أو ماهراً أو مقتدراً كغيرى . إنى لا أشعر بالخجل من ضعفى » . ويكون لوم الذات ، فى حالة الشعور بالقصور ، نتيجة لمعرفة النقص الذى يشعر معه المرء بالخجل والازدراء لا للذنب . وتبعاً لذلك ، تهيج مشاعر القصور المنافسة والعدوان . وليس هناك من وسيلة لاقتلاع هذه المشاعر سوى أن يظهر المرء تفوقه فى المنافسة . وعلى العكس من ذلك نجد مشاعر الذنب تعمل على كف المنافسة . فهى (مشاعر

الذنب) استجابة للحوافز العدائية العدوانية . فعلى المرء أن يقلع عن المنافسة إذا ما أراد خلاصاً من مشاعر الذنب . وعادة ما تكون هذه الوسيلة الدفاعية وحدها ليست بالكافية . فتتطلب مشاعر الذنب اتجاها مضاداً للمنافسة أى تتطلب الخضوع واذلال الذات بل قد تتطلب العقاب . ولكى يتخلص المرء من مشاعر القصور عليه أن يلجأ إلى المنافسة والطموح ، تلك المنافسة التى تهدف إلى التغلب على الغير الذى لا يعيبه شيء ما سوى أنه أرقى وأفضل وأقوى منا نحن الذين نعانى هذه المشاعر . ولكى ينشد المرء خلاصاً من مشاعر الذنب فليس عليه إلا أن يخضع ويترك جانباً ، ما وسعه ذلك ، السلوك العدائى العدوانى .

وقد يعترض على هذا الرأى بأنه يقوم على تفرقة مصطنعة مبتسرة بين مشاعر القصور ومشاعر الذنب . فى كلتا الحالتين ، يتهم المرء نفسه بشكل ما من أشكال العجز وعدم المقدرة . فى حالة الشعور بالقصور يخاطب المرء نفسه قائلا «ألا تشعر بالخجل من أن صديقك أقوى منك وأنه قد فاقك» ! أما فى حالة الشعور بالذنب فيخاطب النفس قائلا لها : ألا تشعر بالخجل لأنك قد سرقت ... إلخ » فى كلتا الحالتين يستخدم نفس التعبير « ألا تشعر بالخجل » . ومهما يكن الأمر ، فإن البحث الدقيق يكشف عن أن الاستعمال اللغوى غير دقيق وأن لفظ « الخجل » ليختلف معناه ومدلوله فى كل حالة . « فالخجل » الناجم عن غلبة وتفوق الصديق يستثير المنافسة العدائية والطموح أو يفضى إلى محاولة من شأنها التقليل من قيمته ومن مجهوده بينما يكون للذنب الناجم عن السرقة أثر يشل الفرد . فيمكن الخلاص من الشكل الأول من أشكال الخجل بالتفوق على الصديق وغلبته بينما لا يمكن الخلاص من الشكل الثانى إلا بالتكفير أو العمل على تجنب السرقة فى المستقبل أى بكف الحافز المسبب للذنب . ويتجلى الفارق بوضوح بين مشاعر الذنب ومشاعر القصور فى قولنا « خير للمرء أن يكون خبيثاً من أن يكون عبيطاً » لأن الحالة الأولى تتضمن مشاعر الذنب بينما تتضمن الثانية الخجل .

هـ ــ الحب المفرط والحاجة إلى الضبط والتوجيه الأبويين : لقد ناقشنا من قبل كيف أن انعدام الأمن العاطفى الناجم عن الحاجة إلى الحب يفضى إلى العدوان . ومن المهم أن نبين كيف أن الحب المفرط والتساهل الزائد عن الحد الذى يتمثل فى ترك الحبل على الغارب للطفل يفضيان بدورهما إلى العدوان

عن طريق مخالف للآخر تمام المخالفة . فحيث لا يوجد الضبط والتوجيه اللذين يقوم بهما الأب ، تكون وطأة الشعور بالحرمان شديدة . ومما لا شك فيه أن الضغط الأبوى المعقول الذى يتجلى فى الحدود والقيود التى يفرضها الأب أمر ضرورى . فمن المعروف أن الاسراف فى الشدة والمبالغة فى اللين يؤدى كل منهما إلى الانحراف النفسى . فالطفل الذى نشأ فى جو يغلفه التدليل ، لا يعرف إلا الطاعة لكل أمر يقول به ، والاستجابة لكل نزوة تطوف بخاطره ، لا ستطيع أن يتحمل الحرمان ذلك لأن العالم الخارجى لا يحمل له الدفء الحنون الذى وجده بين أبوين أطلقا له العنان فى تحقيق رغباته ونزواته . ومن ثم يتفصح سلوكه عن نزعات عدوانية عارمة . وهناك ميكانيزم آخر يعمل فى حالة هؤلاء الأطفال الذين أفسدهم التساهل . فعلى الرغم من أنهم لم يتعلموا ما هو صواب وما هو خطأ ! ما هو مقبول وما هو مرذول إلا أن العالم الذين يعيشون بين جدرانه سرعان ما يعلمهم تلك الفوارق التى تواضع عليها منذ آلاف السنين . فكل طفل يشعر بالحاجة إلى العقاب إذا ارتكب ما يسىء . وإذا لم يقع العقاب بالفعل على الطفل حال ارتكاب الاساءة ، فقد يبالغ الطفل فى سلوكه المعوج حتى يبلغ السيل الزبى مما يفضى بالطفل فى نهاية الأمر أن يوقع العقاب بنفسه . ومن المعروف أن الطفل المدلل أكثر الأطفال عدواناً ومن ثم أكثرهم عرضة للعقاب لأن الحاجة إلى العقاب الناجمة عن الذنب تدفعه ، بطريقة لا شعورية ، إلى أن يعاقب نفسه بنفسه . فى العقاب راحة له من لسعات الضمير . فإذا لم يوقع به الغير العقاب عاقب هو نفسه .

و — الافتقار إلى المهارة : وقد تنشب النزعات العدوانية من افتقار الطفل إلى طرق المهارة اللازمة لتحقيق أغراضه على نحو أكثر فعالية . فالرضيع مخلوق عاجز لم يتعلم بعد أن ينتقل من مكان إلى آخر وأن يتكفل بحاجات نفسه بل هو يعتمد كل الاعتماد على أمه . وإذا ما شب قليلا فإنه يعتمد على معونة الوالدين . فالخيال والوجدان يسبقان المهارة . وفى السنوات المبكرة من العمر ، تكون الأفكار الخيالية غلابة وهدامة . وكلما أدرك الطفل أنه كائن متميز عن غيره وتفصح سلوكه عن إدراك لمبدأ الواقع واكتسب كثيراً من المهارة وازدادت ثقته بنفسه ، تتناقص تلك الصورة المرعبة غير الحقيقية التى تبناها فى خياله . واكتساب المهارة فى العلاقات الاجتماعية ذو أهمية خاصة . فالطفل الذى أسعده

الحظ بأن كان له رفقاء يلعب معهم ، فإن مثل هذا الطفل يتعلم كيف يعمل على موافقة ميوله العدوانية مع مطالب الجماعة . أما ذلك الطفل الذى يعيش فى عزلة عن الجماعة ، لا يسمع إلا صوت والديه ومربيته ولا يعرف لوناً من ألوان الأخذ والعطاء ، فإنه يفصح عن ميوله العدوانية بطريقة فجة فيها من الرعونة الشيء الكثير ، وقد تعود النزعات العدوانية إلى الظهور من جديد فى فترة المراهقة ولكن المهارة المكتسبة من العلاقات الاجتماعية سرعان ما تكبحها وتعمل على ضبطها .

وإذا ما استعرض الإنسان الظروف أو الشروط المؤدية إلى العدوان ، تبادر إلى ذهنه أن من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل ، استبعاد العدوان من المسائل الإنسانية . فإن ما يدفعنا إلى الحب كامن فى أعماقنا . ذلك لأن الحرمان أمر شائع مألوف لا يفلت منه أحد . فمن المحال تنشئة الطفل دون أن نرغمه فى وقت ما على معرفة معنى الانتظار وتحمله من أجل تحقيق رغباته . وبقدر ما يكون الحرمان ضرورياً ، يكون العدوان كاستجابة مساوياً له فى الضرورة .

ويجد الإنسان نفسه مدفوعاً تحت تأثير الاغراء إلى أن يتأمل الاختلاف فى النزعة العدوانية عند مختلف الجماعات . وتصف مرغريت ميد قبيلة الـ Arapesh فى غينيا الجديدة بأنها قبيلة لا يوجد بين أفرادها العدوان كشكل اجتماعى فى حين أن القبائل التى تجاورها تمتاز بالوحشية والميل الشديد إلى القتال . ويعتقد بعض الباحثين الذين درسوا العدوان أنه ظاهرة تنمو وتنبعث عن المواضعات والقيود الاجتماعية كما يعتقدون بعدم جود نموذج طبيعى اجتماعى للعدوان بل بأن العدوان ما هو إلا وظيفة تنشأ عن ظروف الحياة وأحوالها وشروطها . وهذا الرأى فى حاجة كبيرة إلى المناقشة .

ويقول لنا الأنثروبولوجيون أن العدوانية تزداد فى النظام الاجتماعى الذى يشكو من قلة الرزق ومن ثم عدم الطمأنينة . ولا شك فى أن نشوب الحرب العالمية الثانية إنما يرجع ، إلى حد ما ، إلى التوزيع غير العادل لموارد الثروة الطبيعية وإلى احساس بعض الأمم المتكبرة بأنها محرومة أو قد حرمت من فرص تحقيق مستوى أرقى من المعيشة .

ويرجع العامل الثانى الذى يفضى إلى العدوان إلى تلك المواضعات والقيود الاجتماعية التى يفرضها المجتمع على الغير والتى كثيراً ما تتعارض مع نزعاته وميوله

الموروثة . وأكثر الحوافز الطبيعية تعرضاً للكبح والقمع هى الحوافز الجنسية مما يفضى بالبالغين والبالغات إلى أن يكونوا أكثر تهيئوا للعدوان . ولعل ذلك يرجع كما هو واضح إلى التوتر الناجم عن عدم اشباع الرغبة الجنسية . فلقد وجدت مرغريت ميد مجتمعاً فى ساموا Samoa يحظى أفراده بقدر لا يستهان به من الحرية الجنسية مما أدى إلى ضياع التوتر النفسى أو تخفيفه إلى حد ملحوظ(١) . وإن قلق الشبان والشابات فى مجتمعنا الحاضر ليرجع إلى أن النضج الجنسى يسبق النضج الاقتصادى الأمر الذى يترتب عليه تأخير اشباع الحوافز الجنسية مما يفضى إلى أن يكون المرء أكثر استعداداً وقابلية للعدوان . وهذا الأمر ينطبق على هؤلاء العوانس اللدتى مر بهن الزمن وهن مازلن ينتظرن ، فى شعور يمتزج فيه الرغبة بالجزع ، ذلك الرجل المنشود . فتراهن يعمدن إلى القيل والقال فى حق الزميلات اللاتى أشبعن ميلهن المازوكى ، هذه المازوكية التى هى ميزة من مميزات التكوين النفسى للمرأة فيما ترى هلين دويتش ، وتسامين بالغريزة الجنسية عن طريق الزواج .

ويرجع العامل الثالث الذى يفضى إلى العدوان فى داخل نظامنا الاجتماعى إلى تماسك تكوينه وبنائه الذى يحول دون هرب الفرد من الظروف المحيطة . فى النظام المخلخل أو غير المستقر عند ما يصل العداء درجة من الشدة لا يحتملها الفرد ، نراه يلجأ إلى الهرب من هذا المجتمع . ولكن مثل هذا السلوك غير ميسور فى نظامنا الاجتماعى الحالى .

وإنا ليتملكنا العجب من بربرية بعض الشعوب البدائية ! ولكننا ، على الرغم من ذلك ، نجد صعوبة فى الاعتراف بأن حضارتنا الراهنة تسمح بل إنها لتشجع ، وهذا حق ، أشكالا معينة من العدوان . فإذا كان القانون يحرم من جهة اغتصاب وتدمير ممتلكات الغير إلا أنه من جهة أخرى يسمح بالمنافسة والمزاحمة . وإن النظرة العادلة البريئة من شوائب الهوى لتدلنا على أن الرغبة فى هزيمة الخصم ، سواء فى ميدان السياسة أم فى ميدان الرياضة ، أمر مرغوب فيه . ويعتقد الكسندر أن العداء أو الخصومة hostility الموجهة إلى الجماعة التى ليست منا أو الغريبة علنا هى شرط ضرورى للسلام الداخلى . فعلى المرء أن يحارب الشرور الخارجية كيما يوفر السلام الداخلى . ويرى روهيم Roheim أن

(١) Mead, Margaret, "Sex & Temperament in three primitive Societies".

هذه الاتجاهات النفسية نحو أفراد الجماعة التى ننتمى إليها وأفراد الجماعة الغريبة عنا – أى التى ليست منا – ما هى إلا صور منقولة عن الصورة الأصلية لمركب أوديب . فالعدو هو دائما صورة للأب الذى شعرنا نحوه بالغيرة والكراهية ! والذى يرغب – كما اعتقدنا من قبل – فى أن يحرم الشخص – أو الدولة – من الممتلكات .

ولقد حلل كل من دربن وبولبى Durbin & Boulby فى كتابهما الموسوم بعنوان : Personal Aggressiveness & War أسباب الحروب . وهى ترجع فى رأيهما إلى ثلاث : الرغبة فى التملك ! وعدم الأمن الاقتصادى ، والغرابة . وكما ذكرنا آنفاً ، يوجد ميل إلى الشعور بالعداء نحو الأشخاص الذين يختلفون عنا فى التقاليد واللهجة والمثل العليا (١).

ويعتقد روهيم أن هذا الشعور بالغرابة إنما يقوم ويرتكز على مركب أوديب ومشتقاته كأنما الغريب الأصيل الذى يكمن وراء هذه الخيالات ، هو صورة الأب الذى يتهدد ويتوعد .

الطرق التى يتفصح بها العدوان : قد ذكرنا من قبل كثيراً من الأشكال الطفلية التى يتفصح بها العدوان . وقد تستمر هذه الأشكال طوال الحياة ويمكن التعرف عليها بسهولة . ومن المحتمل أن يكون الفم هو أول أداة عدوانية تستخدم فى سبيل تحقيق الأهداف عن طريق العض والبصق والقىء أو اصدار أصوات تدل على الاحتقار . ولقد ذكرنا من قبل الدلالة العدوانية للمرحلة الشرجية والبولية . ويمكن أن تستخدم العين كوسيلة عدوانية . والاستعمال اللغوى يؤيد هذا القول ! فنحن نقول « نظر إلى نظرة مميتة » وكانت « عيناه تقدح شرراً » . ومن الممكن الكشف عن السيطرة والخنوع عن طريق النظرات المتبادلة بين شخصين .

وبعد ذلك تأتى الصور اللفظية . وهى ليست إلا نتيجة مباشرة للعدوان الفمى كالصراخ والصياح والسباب والفحش فى القول والتهديد . . . إلخ . فقد نصف شخصاً فنقول عنه إن لسانه « حاد » وألفاظه « جارحة » . ولقد برهن فريدركسون Frederickson تجريبياً على أن هناك تلازماً وارتباطاً بين الخلفة والحرمان المتزايد الذى تتطلبه تربية وتنشئة الأطفال الذين يبلغون من العمر سنتين أو ثلاث سنوات .

(١) Rohcim "War, Crime & the Convenaut."

ويتفصح العدوان كذلك عن طريق المعارضة أو المقاومة . فتتفصح ميول الطفل العدوانية فى صورة العناد والخلفة والتحدى . والتجسس ما هو إلا شكل من أشكال العدوان . ذلك لأن التجسس يتضمن معرفة شىء يحرص الشخص على إخفائه ليكون لنا عوناً فى تهديده وإيذائه . ولقد تبين من دراسة خيالات البالغين أن النظر من ثقب الباب إنما يرتبط بمحاولة الحصول على شىء ما من أجل استخدامه فى إيذاء الشخص .

ارتداد النزعات العدوانية إلى الذات : ويتفصح العدوان كذلك عن طريق ارتداد النزعات العدوانية إلى الذات . فمن الميكانيزمات الدفاعية المهمة التى تلجأ إليها الذات لحماية نفسها تصريف الميول الغريبة Alien tendencies عن طريق تحويلها إلى الذات . وبعبارة أخرى ، تسمح الذات للحوافز الغريبة بالتعبير عن نفسها ، إلا أن هذا التعبير يتخذ من الذات موضوعاً له . فإذا لم يكن فى الامكان كبت الكراهية اللاشعورية نحو موضوع محبوب ، فقد ترتد إلى داخل النفس نظراً لأن هذه الكراهية أمر لا تقبله الذات . وينتقل الحافز العدائى من موضوع إلى موضوع آخر تلافياً للصراع . فتستبدل الذات عبارة « أنا أكره نفسى » بعبارة « أنا أكرهه » نظراً لما تستثيره العبارة الأخيرة من اعتراض ومقاومة لدى الذات . ومرجع ذلك القلب الحادث فى اتجاه العاطفة هو الذنب الناتج عن هذه المشاعر العدائية نحو الشخص المحبوب . ويعمل ارتداد هذه المشاعر إلى الذات على تصريف الحافز العدائى كما أنه يعمل أيضاً فى نفس الوقت على تسكين وتخفيف مشاعر الذنب . ويلعب ارتداد المشاعر العدائية إلى الذات دوراً كبيراً فى حالات الانقباض . وما دمنا قد تعرضنا لارتداد المشاعر العدائية إلى الذات فيلزم أن نشير اشارة عاجلة إلى مشاعر الذنب والدفاع المازوكى .

كان الفضل الأكبر فى معرفتنا الدقيقة لمشاعر الذنب راجعاً إلى دراسة العصاب حيث تلعب هذه المشاعر دوراً كبير الأهمية فى نشوئه وتكوينه . فتبدو مشاعر الذنب والانفعالات التى استثارتها بصورة متضخمة فى العصاب مما يجعل من السهل دراستها وبحثها . ولا تختلف العمليات العصابية عن العمليات السوية إلا فى الدرجة . ولقد مهدت لنا دراسة العصاب ، بصوره المختلفة ، السبيل إلى فهم الأسس الديناميكية التى تكمن وراء أشكال السلوك الإنسانى

جميعه . ونجد أصول مشاعر الذنب فى علاقة الطفل بوالديه . فإذا ما ارتكب الطفل أمراً ما كان سبباً فى استثارة سخط الوالدين وعقابهم فيما مضى ، فإنه يستجيب لذلك بشعوره بالخوف من العقاب . وإذا كان الطفل قد وجد فى العقاب تكفيراً عن الذنب الذى جناه ، فإن علاقته الطيبة بوالديه تعود إلى ما كانت عليه . وليس المهم هو الشكل أو الصورة التى يتخذها العقاب — الجسدى ، اللفظى ، الاهمال العاطفى من جانب الوالدين — وإنما المهم هو نتيجته عند الطفل ألا وهى الشعور بعدم الطمأنينة والمعاناة . وتتكرر سلسلة الحوادث على النسق الآتى : سوء السلوك — القلق النفسى — العقاب والتكفير اللذان يؤديان فى نهاية الأمر إلى الصفح .

ويؤدى توقع العقاب إلى الحاجة إلى العقاب لأن الحصر النفسى الناجم عن السلوك المتمرد لا يمكن أن تقل حدته إلا بهذه الطريقة وحدها . وبعد ادماج الاتجاهات النفسية للوالدين فى الضمير ، تصبح العملية برمتها عملية باطنية . ولا تصبح مثيرات الحصر النفسى قاصرة على تلك الأفعال التى سببت فى وقت ما عقاب الوالدين بل تمتد إلى مجرد النية فى اقترافها . وهذا الخوف من ضمير الشخص هو ما يطلق عليه الاحساس بالذنب . وما دامت السلطة الخارجية لم تعد تسبب خوفاً ولا تستوجب عقاباً بل أصبح ما يسبب الخوف ويتطلب العقاب هو الضمير كى يخفف من حدة الحصر النفسى والتأنيب ، فيصبح من المحتم على المذنب أن ينزل العقاب بنفسه أو يغرى الغير بعقابه . والحاجة إلى العقاب هى أحد العوامل الموجودة دواماً فى العصاب . وينزل المرضى العقاب بأنفسهم عن طريق تكوين الأعراض ، وهذا أمر مطلوب لتخفيف حدة الذنب الناجم عن رغباتهم المكبوتة . والفكرة القائلة بأن المعاناة تزيل الذنب أو تخفف من حدته ظاهرة مألوفة فى حياتنا الاجتماعية . وكثير من الممارسات الدينية إنما تقوم على أساس هذه الفكرة بل إن القانون الجنائى ليعتمد عليها كذلك . ويتقبل الضمير المعاناة على أنها عملة كافية لارضاء مطالبه . وبعد المعاناة يقل دفاع الذات ازاء الميول الغريبة . ويمكن التعبير عن ذلك بصورة مجازية ، فى حدود النظرية التكوينية ، بقولنا إن الذات ترشو الذات العليا عن طريق المعاناة كى تقلل من اعتمادها واتكالها على الذات العليا . وترضى المعاناة مطالب الذات العليا كما تلين رقابتها على الميول المكبوتة . وذلك ما يفسر

لنا السبب فى أن الأشخاص الذين عانوا كثيراً وتعذبوا طويلا يشعرون بأن لحظتهم قد حانت لاشباع رغباتهم واتيان ما يرونه من الأعمال دون ما اعتبار للعرف والتقاليد . ومن الممكن إلى حد كبير تفسير ارتداد المجرمين إلى أعمالهم الإجرامية إذا ما كان عقابهم على ارتكاب جرائمهم الماضية قاسياً يتسم بالعنف على هذا الأساس . والمعاناة — سواء أكانت ذاتية أم ناتجة عن تحريض الغير — تجعل الذات قادرة على تقبل الدوافع الغريبة والاستسلام لها دون صراع . ولهذا الميكانيزم دلالة رئيسية فى حالات الانقباض وحالات الجنون الدورى . والدراسة التحليلية لمثل هذه الاضطرابات هى المصدر الأول لمعرفتنا بمشاعر الذنب . وفى هذا الصدد تستحق المازوكية اعتباراً خاصاً . فمن المحتمل أن يصطبغ أى توتر انفعالى شديد بصبغة شبقية حتى يصبح انطلاقه غاية فى ذاته ولذيذاً من الوجهة الجنسية . وهذا ما يحدث عند ما يوجد توتر زائد لا يمكن تصريفه ، فيما يرى فرانز الكسندر ، فى متابعة الأغراض المتكاملة للكائن الحى . ففى المازوكية تصطبغ الحاجة المفرطة إلى العقاب الناجمة عن الذنب بصبغة شبقية وتنطلق مصحوبة بإرضاء شبقى . فتصبح المعاناة غرضاً شبقياً فى ذاته ولم تعد قاصرة على تخفيف حدة الشعور بالذنب . ومصدر هذه الظاهرة الغريبة هو مبدأ الواقع فتدرك الذات فى تكيفها أن اشباع بعض حاجاتها يتطلب المعاناة . فالاشباع لا يتحقق إلا عن طريق العرق وبذل الجهد . ويتحمل الشخص السوى الألم عند الضرورة ، ولكنه يتجنبه فى أحوال أخرى ، والأمر على خلاف ذلك فى المازوكية . فليس الألم وسيلة بل غاية فى ذاته . فهو تشويه شقى لمبدأ الواقع . فالألم انطلاق جنسى للتهيج المفرط الناجم عن الذنب . فلا تظهر المازوكية إلا عندما تصبح المعاناة التى يوقعها المرء بنفسه هدفاً شبقياً وتفقد قيمتها التوافقية . وعقاب الذات نفسه ما هو إلا وسيلة دفاعية بدائية تعمل على تخفيف الذنب على الذات وتصريفه . وعند ما يصبح عقاب الذات مصطبغاً بصبغة شبقية ، كما هى الحال فى المازوكية ؛ لا يكون عمله قاصراً على العمل على تخفيف الذنب بل يصبح أيضاً هدفاً شبقياً . ونظراً لهذه الوظيفة المزدوجة لعقاب الذات ، فإنه يعد من أكثر الميكانيزمات الدفاعية التى تلجأ إليها الذات صعوبة فى العلاج . والرأى الذى فرغنا من سرده إنما هو رأى فرانز الكسندر فى كتابه الموسوم بعنوان « أسس التحليل النفسى » ولقد فسر فرويد المازوكية تفسيراً

يختلف بعض الشيء عن التفسير السابق فميز بين ثلاثة أشكال من المازوكية : الشبقية والنسائية والخلقية . والمازوكية الشبقية صورة من صور التهيج الجنسى الشديد ؛ والثانية تعبير عن الأنوثة ؛ والثالثة أسلوب من أساليب السلوك . وعن طريق تطبيقه لنظريته الثنائية فى الغريزة (غريزتى الحياة والموت) يفسر فرويد المازوكية الشبقية على أنها بقية من غريزة الموت لم تنطلق فى نشاط هدام ولكنها ظلت محصورة فى داخل الكائن الحى . ففرويد يسمى إذن اندماج هذه البقية من غريزة الموت بالإروس بالمازوكية الشبقية Erogenous . والمازوكية النسائية Female فى جوهرها مماثلة للمازوكية الشبقية . وترتبط المازوكية الخلقية بوجدانات الذنب اللاشعورية التى تتفصح فى صورة الحاجة إلى المعاناة . ويفسر فرويد الحاجة إلى المعاناة على أساس أنها امتزاج بين مازوكية الذات وصادية الذات العليا التى حولت إلى الذات . وهذه الصادية هى نتيجة للحوافز الهدامة التى ارتدت بطريقة ثانوية إلى الذات واندمجت فيها . وتفسير فرويد يمتاز بالاعتراف الكامل بالدور الذى تقوم به الدوافع العدوانية فى نشوء المازوكية .

وقد يتفصح العدوان متخذاً صورة الاحسان وحب الخير . فمن المعروف ، أن الاحسان يمكن اعتباره إعلاء للمرحلة الشرجية الصادية أى تلك المرحلة التى التى تتميز بالطرد والتفريغ . وهى مرحلة — كما هو معروف — تتميز بالنشاط الهدام . وهناك قول شائع بين العامة يقول « من حب الإله فىّ حوج الناس إلىّ » . وهذا القول إن دل على شيء فإنما يدل على الأصل العدوانى لعملية الاحسان . ولقد استرعى نظرى سلوك شخص معين ولنرمز إليه بـ (س) .

كانت القسمات الواضحة لسلوك « س » هى :

١ — عدم الثقة بالغير واعتقاده أن الجميع إنما يتظاهرون ضده ويتحينون الفرص للإيقاع به والحيلولة بينه وبين ما يريد . ولذا كان يبالغ فى سوء الظن بالجميع معتقداً أن طبيعة الشر هى صفة لا يمكن التسامى بها عند بنى الإنسان .

٢ — اعتقاده الشاذ العجيب بقدرته المطلقة على تحطيم من يقف فى طريقه وأنه سيد نفسه وأن فى يده تقرير مصيره . وبالإضافة إلى هذا ، كان لا يطيق المعارضة . فكان ينظر إلى رغباته كما لو كانت أوامر ملزمة لا ينبغى أن تلقى التسويف والتأجيل .

٣ — المبالغة الشديدة فى حفظ النظام . فكان لا يقبل بأى حال من

الأحوال أى تغير ، ولو كان طفيفاً ، فى الأمور التى تتعلق بالنظام حتى ولو اقتضتها الظروف . ولقد دفعه هذا الإصرار الشاذ على النظام إلى سلوك كان سيترتب عليه فقده لعمله مع أن الأسباب التى تشبث بها كانت تافهة .

٤ — الإحسان على من هم دونه بكميات كبيرة لا تتناسب إطلاقاً مع دخله .

ويسهل علينا فهم هذه الخصائص إذا ما عرفنا أن مثل هذا الشخص إنما يعانى من الدوافع العدوانية المكبوتة . وليس أدل على صحة هذا التفسير من اسقاطه لدوافعه العدوانية على الغير وعزوها إليهم . لعله يجد راحة من بعض ما يعانيه من العدوان عن طريق عزوه إلى الغير . فالاسقاط يسمح أولا لهذه الدوافع العدوانية بالتعبير عن نفسها كما أنه يعمل على تخفيف التوتر النفسى الذى يعانيه . ولسنا فى حاجة إلى القول إن مثل هذا السلوك يتسم ، إلى حد ما ، بطابع البارانويا .

أما عن عنايته المفرطة بالنظام فترجع إلى خوفه اللاشعورى من أن تجد هذه الدوافع العدوانية مخرجاً لها مما يجعله عرضة للنقد الاجتماعى . فلتفصح هذه الدوافع العدوانية عن نفسها إذن بطريقة مقبولة لا تستوجب ذماً من المجتمع ، وهل هناك وسيلة أفضل من أن تتخذ من النظام موضوعاً وهدفاً لها . ولكن الافراط فى حب النظام إلى حد الشذوذ قد فضحها وهتك سرها . فالحاجة إلى حب النظام تقوم كبديل عن النزعات العدوانية والهرب منها فى نفس الوقت نتيجة لمطالب الذات العليا .

أما عن الاحسان المبالغ فيه ، فتفسيره فى منتهى البساطة . فإذا كان المجتمع قد خذله فى تحقيق أهدافه ، وحال دون اشباع سيطرته فليتخذ طريقاً آخر يحظى بالقبول الاجتماعى . وهل هناك وسيلة أفضل من الاحسان والمبالغة فيه .

ويرى كاتب هذا المقال أن هذه الحالة تمثل الارتداد إلى المرحلة الشرجية بشقيها : المرحلة الشرجية الهدامة ، والمرحلة الشرجية التى تهدف إلى الحفظ والامساك ، وإن كانت المرحلتان فى هذه الحالة التى نحن بصددها تتميزان بطابع الهدم والتدمير . ولكن كيف تتميز المرحلة الثانية (الحفظ والابقاء) بطابع الهدم والتدمير ؟ نلاحظ أولا أن الطفل الصغير قد يتخذ من التحكم فى برازه وسيلة للتعبير عن العدوان الموجّه إلى والديه ، لأن الامساك يخلق جواً من البلبلة مبعثه الاهتمام بصحة الطفل . فنجد الطفل قد حقق العدوان بصورتين :

(١) التحكم فى براز ه (٢) التحكم فى الوالدين اللذين يهتمان بمواعيد التبرز . وليس أدل على صحة هذا التفسير من أن صاحبنا كان يحتفظ « بالمنى » — وهو هنا بديل — فى عملية الجماع فيعوق الانزال بطريقة شاذة ، وكان يشتق من طول هذه المدة لذة عجيبة . ولما نبهته إلى ما فى هذه العملية من ضرر ، ضحك ساخراً هازئاً . وعلينا أن نذكر أننا لم نقم بعملية التحليل ؛ وإنما كل ما فى الأمر أننا لاحظنا سلوكه بطريقة مباشرة فى عمله ؛ وفى الأحاديث غير المباشرة التى كانت تكشف على غير علم منه — بخصائص سلوكه . ولكن جو الصداقة الذى كان يجمع بينى وبينه وعدم درايته بأنه موضوع للملاحظة هما اللذان مهدا الطريق إلى جمع هذه المعلومات .

وعلينا أن نختتم هذا البحث بكلمة قصيرة عن الوسائل التى تؤدى إلى تخفيف أثر العدوان فى المجتمع . لقد سبق لنا القول بأن العدوان أمر شائع وضرورى . وعلى المجتمع أن يعمل على الاستفادة من النزعات العدوانية بتوجيهها وجهة مفيدة . فهذا هو خير الطرق لضبطه وتوجيهه فيجب أن يسمح للطفل بالتعبير عن نزعاته العدوانية بشكل مقبول . وعلى المجتمع إن أراد ضبطاً للعدوان وتوجيهه وجهة مفيدة أن يعمل على تقليل الحرمان وكفالة الطمأنينة . ويجب أن تبدأ عملية الضبط والتوجيه منذ الطفولة المبكرة . والعامل المهم الوحيد ، إن أردنا للعدوان ضبطاً وتوجيهاً ، هو ترحيب الوالدين بالطفل وعملهم على تحقيق الطمأنينة الوجدانية . فيجب أن نقوم بتلبية حاجات الطفل دون أن نتركه فريسة للانتظار الطويل لأن فى الانتظار الطويل معنى الحرمان ، والحرمان — كما سبق لنا القول — من أهم الشروط المولّدة للعدوان .

وعلينا أن نسمح للطفل بالتعبير عن نفسه وألا نفرض عليه قيوداً كثيرة . وفى مقدور الوالدين أن يتجنبا خلق أشكال معينة من عدم الاطمئنان العاطفى . فإذا ما رزقت الأم بطفل جديد فعليها ألا تجعل الجديد يستأثر بكل وقتها وتنسى طفلها الكبير ، وعليها أن تؤكد للكبير أنه ما زال موضع عطفها ورعايتها . وعلى الآباء ألا يحابوا طفلا على حساب الآخرين . ويحسن أن تكون الأسرة قاصرة على الأب والأم والأطفال وحدهم وألا يشاركهم العيش أقارب آخرون حتى تقل إمكانيات الحالات المولّدة للغيرة والحرمان والعدوان ذلك لأن الحقد العائلى يكاد أن يكون أعنف من الحقد الذى بين شخص من أفراد الأسرة وفرد أجنبى عنها .

ولقد عمد المجتمع إلى طائفة من النظم الاجتماعية كضوابط للعدوان فهناك القانون المكتوب وغير المكتوب (العرف) . فإذا ما سادت هذه القوانين الأسرة شب الطفل على احترامها وتمكن من التعبير عن نزعاته العدوانية بطريقة يتقبلها المجتمع . ويجب على المجتمع كذلك أن يكفل لأفراده قدراً معقولا من الطمأنينة الاقتصادية .

وتهدف الوسائل العلاجية التى ترمى إلى تقليل العدوان إلى تشجيع التعبير الرمزى أو الخيالى عن العدوان . ويمكن أن يتحقق ذلك عن طريق اللعب بالنسبة لصغار الأطفال . فقد يشكل الطفل صورة من الطمى ثم يعمد بعد ذلك إلى بتر أعضائها وضربها بعنف . . . إلخ . وبوجه الإجمال ، يصب عليها كراهيته وعدوانه . أما عن الصبى والبالغ ، ففى التعبير والافصاح عن النزعات العدوانية بعض الراحة . ولكن هذا العلاج — إن صح أن نسميه علاجا — وقتى . أما العلاج الصحيح فهو ذلك الذى يتقصى الأسباب الكامنة وراء العدوان ويحاول النفوذ إلى أعماق الشخصية حتى يجد الأصول الأولى التى أدت إلى هذا السلوك العدوانى المنحرف . وهذه عملية شاقة طويلة .

كمال الدين عبد الحميد نايل

أهم المراجع

1. *Percival Symonds* : Dynamics of Human Adjustment.
2. *J.F. Brown* : Bsychodynamics of abnormal behavior.
3. *Freud* : The Ego & the Id;
4. *Freud* : Civilization & its discontents.
5. *Franz Alexander* : Fundamentals of Psycho-analysis.
6. *Ernest Jones* : Papers on Psycho-Analysis.

منشورات جماعة علم النفس التكاملى

المنشأة برعاية المغفور لها الأميرة شيوه كار

يشرف على إصدارها الأستاذ الدكتور يوسف مراد

ظهر منها :

علم النفس الفردى : أصوله وتطبيقه	تأليف الدكتور إسحق رمزى
مشكلة السلوك السيكوباتى	تأليف الدكتور صبرى جرجس الثمن ٤٥ قرشاً
مبادئ علم النفس العام	تأليف الدكتور يوسف مراد الثمن ٥٠ قرشاً
مدارس علم النفس المعاصرة	تأليف روبرت ودورث وترجمة الأستاذ كمال دسوقى . الثمن ٥٠ قرشاً
الأسس النفسية للإبداع الفنى	تأليف الأستاذ مصطفى سويف الثمن ٥٠ قرشا

الاشتراكات فى مجلة علم النفس ابتداء من عدد يونيو ١٩٥٢ (السنة الثامنة) ترسل مباشرة إلى دار المعارف ٥ شارع مسبيرو — مصر

الاشتراك السنوى فى مصر والسودان ٥٠ قرشاً وفى الخارج ٧٠ قرشاً أو ١٤ شلن .

أما فيما يختص بالمقالات فترسل إلى إدارة تحرير المجلة : الدكتور يوسف مراد ، شارع الأميرة فادية — مدينة الأوقاف — منطقة هـ — العجوزة مصر